الأقسام المعمارية للمنزل الريفي البربري
من خلال دراسة بعض النماذج من قرى بني سنوس في تلمسان

د. رابح فيسة محمد

أستاذ محاضر الآثار الإسلامية
معهد التاريخ والآثار
جامعة تلمسان– الجمهورية الجزائرية

مُلَخّصْ

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز مميزات وخصائص المسكن الريفي في منطقة من بين أهم المناطق الريفية في الغرب الجزائري وبالتحديد منطقة بني سنوس في ريف مدينة تلمسان، وكذا أهمية هذا العنصر في العمران الريفي والعوامل التي على إثرها وُجدت التجمعات القروية بحكم أن المنزل هو جزء لا يتجزأ منها، ثم سنحاول معرفة المواصفات العامة للمنزل الريفي وأقسامه في كل من بلاد الأندلس والمغرب، ومقارنتها بنظيرتها في ريف تلمسان، ثم نقوم بعد ذلك بالحديث عن الملامح العامة للنماذج المختارة من منازل ريف قرى بني سنوس للدراسة، لنخلص في الأخير إلى ذكر الخصائص والمواصفات التي تميزت بها عمارة المنزل الريفي في قرى بني سنوس في تلمسان.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٩ نوفمبر ٢٠١٣
تاريخ قبـول النشـر: ١٢ يناير ٢٠١٤

كلمات مفتاحية:

المسكن الريفي، الأندلس والمغرب، بني سنوس، النشاطات الفلاحية، العمران الإسلامي

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

رابح فيسة محمد. "الأقسام المعمارية للمنزل الريفي البربري: من خلال دراسة بعض النماذج من قرى بني سنوس في تلمسان".- دورية كان التاريخية.- العدد الثامن والعشرون؛ يونيو ٢٠١٥. ص ٨٨ - ٩٢.

مُقَدِّمَةْ

لقد واكب تطور العمارة بشكل عام، والعمارة السكنية بشكل خاص، عنصر الإنسان الذي دفعته حاجاته الطبيعية إلى التجمع والاستقرار، ويمكن أن يقرأ تطور الإنسانية بأكملها في سِجل الحلول السكنية التي ما فتئ الإنسان يطورها تبعًا لمعطيات تقدمه الاجتماعي والصناعي والعلمي والمعرفي، وبما أن الثقافة في مفهومها العام تعني علاقات الإنسان بعالمه المحيط، تصبح العمارة التجسيد المادي الأبرز لثقافة الإنسان ولمقدرته على التكيف مع التقدم الذي يحرزه في شتى مجالات الحياة، لذا فإن استقرار الإنسان خاصةً البدوي في البداية كان في الكهوف والمغارات كما عبر ابن خلدون عن ذلك في مقدمته بأن أهل البدو يأوون إلى الغيران والكهوف وهؤلاء هم سكان المداشر والقرى والجبال وهم عامة البربر والأعاجم، ومع تحول نشاط الإنسان نحو الزراعة، هجر تلك المغارات واتّجه نحو الأراضي التي تنتج قُوته ليستقر فيها، ويبني بيوتًا من المواد الموجودة بين يديه: (الماء والقش والتراب في السهول، أو الحجارة وأغصان الأشجار في لجبال).[1]

غير أننا نجهل في كثير من الأحيان الفترة التاريخية المتعلقة بالشواهد المادية للآثار الريفية عمومًا، ولعل أبرز مثال على ذلك هو موضوع دراستنا هذا، إذ لا يعرف على وجه الدقة إلى متى يعود الاستيطان البشري لمنطقة بني سنوس*، غير أنه من المؤكد أن بعض المناطق فيها كانت مأهولة منذ القدم، بحيث هيأ لها الموقع الجغرافي موطنًا مناسبًا للسكنى، فقد قدمت الوديان الضيقة حماية كافية للفلاحين الصغار القاطنين في هذه المناطق الغزيرة الأمطار، ثم جاءت القرى العديدة المنتشرة في أعالي الجبال لتضمن الأمان للقاطنين، حيث تمكن إنسان المنطقة من استغلال كافة الإمكانيات الطبيعية التي تزخر بها المنطقة وتسخيرها في عملية الاستقرار، ولقد تم استصلاح السفوح الجبلية على شكل مصاطب، كما تم استغلال الأراضي الفلاحية المنتشرة على ضفاف الأودية خاصةً وادي الخميس الذي يمر بالقرب من قرية الخميس التابعة لمنطقة بني سنوس، وحفرت الأحواض المائية وهيأت الطرقات والمسالك، وعمد سكان القرية إلى تشييد الطواحين المائية ومعاصر الزيتون في محيط

القرى، وقد سكن الفلاح الفقير بعائلته الكبيرة ودوابه في فضاء سكني واحد يمتاز بالبساطة، كما تتم فيه ممارسة جل النشاطات التي لها علاقة بالحياة الريفية.

أولاً: عوامل تكون التجمع السكني في الريف

إن المسكن الريفي في داخله هو جزء من محمية كبيرة والمتمثلة في القرية، حيث تشكل في مجموعها المجتمع الكبير الذي يضم سكان هذه البيوت، ولدراسة المسكن بشكل مستقل لابد من دراسة القرية أولاً كتكوين عام والأسباب والظروف التي أدت لهذا التكوين، فلو نظرنا إلى المخطط العام لأي قرية لوجدناها غير منتظمة بشكل هندسي معين أو مسبق، وإنما نلاحظ هذا النمو العفوي لنسيج القرية حيث نرى المنازل متلاصقة ومتداخلة مع بعضها ومتراكمة، ونلاحظ الأزقة والدروب الضيقة والمتعرجة ولهذا التركيب والتلاصق أسباب وعوامل نوردها فيما يلي:

١/١- العامل الديني:

تحث الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في كثير من المواضع المؤمنين على التراحم والترابط فيما بينهم، وأن يكونوا كالبنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضًا، ولذلك فإن تداخل البناء وتماسكه جزء من الأدب العمراني الإسلامي، ومن الطريف في القرى والأرياف التي تتداعى مبانيها اليوم بسبب الإهمال وعدم الصيانة أنها عندما تنهار الدار الواحدة فإن الدور الأخرى المحيطة بها والملاصقة لها تبدأ هي الأخرى بالتآكل والانهيار التدريجي، وذلك بفعل الاشتراك في الحوائط والسقوف والأسس وقد تكون توصية الرسول (ﷺ) للمؤمنين بتقديم المعونات بعضهم لبعض مثل السماح للجار بغرز خشبه والاشتراك في الجدران هي العامل الأساسي في نشأة هذا التلاحم بين المباني الذي يغلب طابعه على القرى والأرياف،[٢] ويظهر ذلك جليًا في تجمع المساكن والأحياء الريفية حول المساجد في مختلف قرى بني سنوس التي يبدوا أنها اعتبرت المنبع الرئيس الذي ينهل منه سكان القرى مثل هذه التعاليم الدينية التي أوصت بها الشريعة الإسلامية، والتي حافظت على مكانة وهيبة المجتمع الريفي بين باقي المجتمعات.

٢/١- العامل النفسي للإنسان:

يميل الإنسان بطبعه إلى تكوين مجتمع متحضر يدافع عنه ويحميه، وهذا ما دفع السكان إلى تكوين تلك التجمعات السكنية المتلاحمة البنيان على المستويين المعنوي والمادي، حيث أننا نجد الروابط الأسرية والعلاقات الاجتماعية متجذرة في تلك القرى، تغذيها العديد من العوامل والأسباب مثل العمل المشترك في الحقول وجني المحاصيل، وكذا حضور المناسبات السنوية والاحتفال بها جماعيًا.[٣]

٣/١- العامل الاجتماعي:

يتفق بعض الباحثين مع ما يراه ابن خلدون أن البيت هو مهد العصبية،[٤] ففيه تنشأ أواصر القرابة وهو الذي يجمع أعضاء العائلة الواحدة التي تعتبر نواة التركيب الاجتماعي التي تكون فيها العصبية في أشد قوتها ثم تتدرج إلى أن تتلاشى فعصبية الأبوة والبنوة أقوى من عصبية الأخوة وهذه أقوى من العمومة وهكذا، ويقابل هذا التدرج الاجتماعي تدرجًا فضائيًا داخل الحي السكني الواحد، حيث تتجسد قرابة النسب في قرب المكان أو الجوار الذي يثبت مدى التلاحم الأسري،[٥] فالبيت الذي ينشأ على أساس الأسرة النووية (الأب، الأم) يتوسع بعد سنوات للأبناء والبنات، ويزداد توسعًا بعد زواج الأبناء وقد يجتمع لذلك في البيت الواحد المتسع عدة أجيال، كما أننا نلاحظ من خلال العلاقات الاجتماعية في القرية بأنها متينة وقوية ومتحررة نوعًا ما، وهذا الشيء كان نتاجًا لعاملين أساسيين هما:

العامل الأول: هو صلة القرابة التي تربط سكان القرية، فمعظم سكانها تجمعهم روابط وأواصر أسرية متينة، وذلك عن طريق المصاهرة والتزاوج مما أدى إلى توطيد العلاقات الاجتماعية في القرى الريفية بصفة عامة، وفي قرى بني سنوس بصفة خاصة.[٦]

العامل الثاني: هو احتكاك سكان القرى ببعضهم البعض من خلال ممارسة النشاطات الفلاحية التي تحتاج إلى أيادي عاملة كثيرة وخاصة عمل النساء الذي أدى إلى نوع من الانفتاح الاجتماعي،[٧] حيث كانت المشاركة في العمل تؤدي إلى الخلط بين الجنسين والتقائهم ببعضهم البعض، مما أثر في البيت الريفي بقرى بني سنوس بحيث أننا لا نجد فيه حواجز بين قسم الرجال والنساء، وإنما يشكل البيت فراغًا واحدًا يستخدم للنوم والطعام والمعيشة، وهذا الاندماج الاجتماعي جعل القرية تعتبر عائلة واحدة والداخل إلى بيت من بيوتها يعتبر فردًا من أفرادها، وهو ما اشتهرت به أرياف كثير من المدن الهامة في التاريخ الإسلامي، كتلك المنتشرة حول حوض البحر الأبيض المتوسط خاصة ببلاد الأندلس والمغرب الكبير.

ثانيًا: المواصفات العامة للمنزل الريفي في الأندلس والمغرب وتلمسان

لقد أظهرت لنا عملية المقارنة التي قمنا بإجرائها بين مخططات معمارية لمنازل ريفية من الأندلس،(**) والمغرب،(***) وتلمسان،[٨] أنها اتبعت النظام المعماري نفسه انطلاقًا من شكلها الخارجي الذي تظهر فيه الأسقف بشكل مسطح، فقط يكمن الاختلاف في مخططات هذه المنازل في الأقسام المكونة لها، فهي تظهر في بعض منها وتختفي في الآخر، كما أن توزيعها يختلف حسب مساحة المنزل، فهي تتكون في مجملها من الغرف الخاصة بالنوم والضيافة التي تنتشر حول الفناء أو ما يعرف بـ (الحوش) في لغة أهل المغرب وتلمسان، بالإضافة إلى وجود المطبخ وفي بعض الأحيان نجد عدة مطابخ في المنزل الواحد، كما أن المنزل في قرى تلمسان لا يخلوا من الإسطبل مع نظيره في المغرب بينما لا نجده في مخطط المنزل الريفي في الأندلس، ربما لاستعمال أهل الأندلس هذا العنصر بمعزل عن المسكن الرئيس، كما أن المنازل في الريف التلمساني استعملت فيها الطوابق وحتى في المغرب غير أن مخطط منزل الريف الأندلسي

اعتمد على طابق واحد في النموذج الذي بين أيدينا، حتى أن عنصر الفرن في المنزل المغربي جاء خارج المنزل بينما في المنزل الريفي في تلمسان نجده داخل المطبخ ولا يظهر له موقع داخل المنزل الريفي في الأندلس نتيجة استعماله ربما في الخارج، وقد اعتمد سكان الريف التلمساني والمغربي المياه الطبيعية من الأودية والأنهار المجاورة للقرى في حياتهم اليومية بينما نجد أن عنصر البئر في منزل الريف الأندلسي هو من العناصر الأساسية فيه، ويظهر عنصر الغار كما يسميه سكان بني سنوس أو القبو في مخطط المنزل الريفي في تلمسان، في حين أن المنزل الريفي المغربي والأندلسي يخلوا من هذا العنصر ولعل الاختلاف في التكوين الداخلي للنماذج الثلاث تحكمت فيه الطبيعة والمحيط وكذا الفكر العمراني المتفاوت المستوى بين بلاد المغرب عامة وبلاد الأندلس ليس فقط في العمارة السكنية، وإنما نجد هذا الاختلاف حتى في أنواع أخرى من العمارة.

وقد شاع استعمال المخططات المعمارية نفسها للمنزل الريفي حتى في الجهة الشرقية من بلاد الجزائر أين توجد منطقة القبائل الكبرى، فقط يكمن الاختلاف في تسمية الأقسام المكونة للمنزل وفي توزيعها في بعض الأحيان، إذ أننا نجدها باللغة الأمازيغية التي تمثل اللغة الرسمية لسكان منطقة بجاية(****) الذين استوطنوا القرى والمد اشر التي تنتشر عبر كامل منطقة القبائل الكبرى، وقد اخترنا منها نموذجين للتدليل على أن نفس النسق المعماري تداوله سكان المنطقة، فمثلاً الفناء نجده يتقدم الأقسام الأخرى من المنزل ويسمى (أمراح)، كما الفضاء الخاص بالحيوانات بـ (أداينين)، والذي يقابله في المخططات الأخرى عنصر الإسطبل، ولدينا عنصرًا آخرًا يشبه في وظيفته عنصر الفناء وهو من بين العناصر الهامة في المنزل الريفي ببلاد القبائل الكبرى ألا وهو الفضاء الخاص بالنشاطات اليومية والذي أطلق عليه مصطلح (تغرغرت)،[٩] وسمي الفرن بالكانون وجل العناصر الموجودة في المنازل الريفية نجدها في المنزل البربري في الشرق الجزائري فقط تتغير التسمية التي -كما ذكرنا سابقًا- تكون باللغة الأمازيغية، وهكذا فإن جل العناصر المكونة للمنزل الريفي تتشابه من حيث الشكل وموقعها من الدار حتى وإن اختلفت تسميتها، وهذا إن دل فإنما يدل على مدى تمسك سكان الريف بالنسق المعماري الذي أملته عليهم الظروف الطبيعية والعادات والتقاليد، التي جعلت من المنزل الحلقة الرئيسية التي تتكون فيها حركة الفرد مع المحيط الذي يعيش فيه، وقد خضعت الكثير من تلك المنازل الريفية إلى تعديلات سببها الحالة الاجتماعية للأسرة الريفية والحالة المادية لها، وهذا ما يبدوا جليًا من خلال النماذج التي قمنا بدراستها في قرى بني سنوس.

ثالثا: المنازل الريفية المدروسة في قرى بني سنوس

لقد قمنا من خلال المعاينة الميدانية للقرى الأربعة المشهورة ببني سنوس وهي: (قرية تافسرة، قرية الثلاثا أو العزايل، قرية الخميس، قرية بني عشير)(*****) باختيار نماذج عدة من كل قرية،[١٠] محاولين بذلك إبراز حقيقة وتفاصيل التكوين المعماري للمنزل الريفي وأقسامه، ولا بد من الإشارة في البداية إلى أن قرية تافسرة هي القرية الوحيدة التي تمتاز عن باقي القرى بنوعين من المنازل، النوع الأول يعرف باسم المنازل الصيفية والتي تقع خارج القرية والنوع الثاني هو المنازل التي تقع داخل القرية، ويمتاز النوع الأول بأنه يقع خارج القرية وبالتحديد في البساتين التي يمتلكها سكان القرية والتي تبعد عنها بحوالي (٢) إلى (٣) كلم وتسمى منازل الصيف لأن السكان يعتمدون عليها فقط في فصل الصيف لموقعها القريب من ممتلكاتهم الفلاحية وثرواتهم الزراعية التي تحتاج إلى أعمال مكثفة في هذا الفصل، حتى يتم تأمين حاجيات الأسرة من الفواكه المجففة والحبوب التي يُعتمد عليها في مختلف فصول السنة، وكذا تأمين الكلأ بأنواعه المختلفة للمواشي والأغنام، وقد اخترنا منها منزلين، المنزل الأول هو ملك لأسرة ورياش والثاني هو ملك لأسرة حمرون، ويعتمد أفراد الأسرة تلك المنازل طيلة فصل الصيف لتجاوز محنة التنقل من بساتينهم إلى منازلهم داخل القرية، وأما عن المخطط المعماري لهذه المنازل فهي منازل بسيطة مكونة من غرفتين بسيطتين غرفة للنوم والأخرى تستعمل كمطبخ مؤقت، لأنها في الأصل منازل مؤقتة، بالإضافة إلى ذلك نجد الفناء أو كما يسميه سكان المنطقة بـ (السطيحة) وهي فضاء يشبه الفناء أو الصحن، لكنه يتقدم المنزل ويستعمل لتجفيف الفواكه والمحاصيل بشكل يومي وطيلة الفترة التي تقيم فيها الأسرة، ولابد من الإشارة هنا إلى أن هذه المنازل الصيفية توجد فقط في قرية تافسرة وحدها ولا نجد لها موضعًا في باقي القرى.

أما عن النموذج الثاني من المنازل، فإننا نجد له أمثلة عدة في قرية تافسرة وحتى في القرى الثلاث المتبقية وهو النموذج الذي دأب السكان على اتخاذه كمخطط ثابت في منازلهم ما عدى بعض الإضافات التي نلاحظها هنا وهناك، كالزيادة في عدد الطوابق التي تكون في الغالب نتيجة لتحسن الظروف المادية لبعض العائلات التي تنزع إلى التوسعة، وكذا زيادة عدد أفراد الأسرة الواحدة خاصةً إذا ما علمنا مدى تلاحم أفراد الأسرة الريفية التي لا تقبل انفراد الأبناء بحياتهم حتى بعد الزواج فالاستقلالية بالنسبة إليها تفككًا أسريًا لا ترضاه العادات والتقاليد، والمهم التأكيد هنا على أن عدد الطوابق في كل القرى بعد قيامنا بعملية جرد للمنازل بها لا تزيد عن الطابق الواحد أي أنها مكونة من الطابق الأرضي والطابق الأول، ومهما يكن فإن الأقسام الرئيسة في هذا النموذج الثاني من المنازل الريفية نجده حاضرًا في كل القرى، بحكم أن الأقسام المكونة له هي أقسام هامة في حياة كل فرد من أفراد الأسرة الريفية، حتى أننا في بعض الأحيان نعتقد بأن معظم المنازل هي صورة عن مخطط أصلي واحد، بحيث يظهر ذلك بداية من الشكل الخارجي الذي تظهر فيه المنازل متلاصقة البنيان وذات أسقف مسطحة.

وأما عن المخطط الداخلي للمنزل فإن معظم المنازل التي قمنا بدراستها تحتوي على مدخل رئيس ذو مصراعين بسيط وأحيانًا ذو

عقد حدوي متسع المقاسات في الغالب نظرًا لوظيفته الهامة في المنزل الريفي، وباعتبار وجود الإسطبل، لذا كان لزامًا على السكان عمل المداخل بهذا الاتساع حتى يسهل من دخول الدواب والمواشي التي يمتلكها سكان المنزل، وقد وجدنا ذلك في كل المنازل المدروسة تقريبًا، ماعدا تلك المنازل التي لا يمتهن أصحابها تربية المواشي كمنزل حوحوا يمينة بقرية الخميس، كما أننا نجد هذه المداخل في الغالب ما تفضي إلى الفناء سواء عبر سقيفة تتقدمه أو بصفة مباشرة، ويعتبر الفناء لدى سكان الريف فضاء رحبًا تمارس فيه الكثير من النشاطات اليومية كغسل الصوف وتجفيف الحبوب وفي أحيان أخرى يكون مجلسا لأفراد الأسرة لتجاذب أطراف الحديث في الأفراح والأعياد،[١١] ويكون مكانًا للنوم في ليالي الصيف الحار، وقد استعمل عند بعض السكان كسكان منزل عبد القادر بن عبد القادر بقرية الثلاثا كفضاء خاص بمبيت المواشي والأغنام، وفي الغالب ما يكون الفناء في المنزل الريفي أوسع مساحة من أقسام المنزل (المخططات)، وتفضي معظم تلك الأقسام إلى هذا الفضاء الفسيح.

وقد تبين لنا أن الإسطبل في كل المنازل المدروسة يوجد في ركن من أركان الفناء وبالقرب من المدخل الرئيس (المخططات)، ولعل السبب في ذلك هو المحافظة على نظافة أقسام المعيشة الخاصة بأفراد الأسرة والمتمثلة في الغرف والمطبخ، كما نشير هنا إلى أن الإسطبل في هذه المنازل يستعمل كمكان لمبيت المواشي فقط في الفصول الشديدة البرد وفي باقي الأيام يكون مبيت المواشي والأغنام خارج المنزل، ولم يتم تسقيفه إلا في بعض المنازل بقرية بني عشير أولاد موسى بقرية الخميس، ولدينا عنصر آخر من بين أهم العناصر في المنزل الريفي بقرى بني سنوس وهو عنصر المطبخ الذي يميزه شكل الهيكل المبني الذي يعلو الموقد وهو عبارة عن شكل مخروطي يخرج عبره الدخان المتصاعد من الموقد ونستطيع معرفة موضع المطبخ لأي منزل من منازل القرية من خلال المداخن التي تعلوها من الخارج. ولا بد من الإشارة إلى أن بعض المنازل احتوت على أكثر من مطبخ بسبب العدد الهائل لأفراد العائلة، ويبدوا ذلك واضحًا في مخطط منزل الطالبي في قرية تافسرة.

أما عن القسم المخصص للغرف، فالملاحظ أن عدد الغرف فيه يزيد وينقص من منزل لآخر تبعًا للحالة العائلية وعدد أفرادها بالإضافة إلى الوضعية المادية لها، فقد وصل عدد الغرف إلى العشرة في بعض المنازل كمنزل الطالبي بقرية تافسرة وذلك راجع إلى العدد الهائل لأفراد الأسرة وكذا الوضعية المادية المريحة التي تتمتع بها العائلة باعتبار أنها من أشراف قرية تافسرة، كما يبدوا ذلك واضحًا أيضًا في طابقي منزل باسعيد بأولاد موسى التابع لقرية الخميس، في حين أننا نجد عدد الغرف يقل في منازل أخرى كمنزل حوحو يمينة بقرية الخميس وأيضًا منزل عبد القادر بن عبد القادر بقرية الثلاثا (المخططات)، وقد تميزت بعض المنازل بالغرف التي تكون منفردة في الطابق الأول والتي تم تخصيصها لأرباب العائلة وتسمى بالعلية، وهي مخصصة للنوم، ولا يوجد على وجه التحديد في كل المنازل المدروسة غرفة خاصة بالضيوف وإنما العائلة الريفية هنا تترك مجال الضيافة مفتوح لأنها تعتبر الضيف فردًا من أفراد أسرتها، وذلك هو مبدأ البساطة الذي تعتمده الحياة في الريف ولا بد من الإشارة إلى أن هذه الغرف بسيطة من الداخل وخالية من عنصر الزخرفة، كما أن معظمها مستطيل الشكل والسبب في ذلك هو أن مواد البناء خاصة السقف تحكمت في الشكل.

وقبل الانتهاء من الوصف العام لمخططات المنازل الريفية لابد من الإشارة في الأخير إلى عنصر هام لم نجد له نظير في باقي المنازل سواء في الأندلس أو المغرب وحتى في بلاد القبائل الكبرى في الشرق الجزائري، وهو عنصر القبو الذي يكون تحت أرضية الفناء والذي يسميه سكان القرية (الغار) أو المغارة، والذي نجده تقريبًا في كل منازل القرى المذكورة آنفًا نظرًا لوظيفته الهامة والمتمثلة في تخزين الزروع والثمار وحتى في بعض الأحيان علف المواشي والدواب، وقد أخبرنا بعض سكان القرى أنه يستعمل في أيام الحر كمكان للنوم وقت الظهيرة، ولعل هذا العنصر يقابله عنصر المخزن في باقي منازل الريف في الأندلس والمغرب وبلدان أخرى اشتهرت بمثل هذا النوع من العمارة.

خاتمة

يظهر لنا من خلال ما سبق ذكره بأن عناصر التصميم في المسكن الريفي وعمارته تتكامل مع الفكر التصميمي لها، فقد اتخذ المسكن الريفي في منطقة بني سنوس (تلمسان) خصائص معمارية تقليدية تمتاز بالبساطة والاعتماد على ما هو محلي من المواد الطبيعية والإبداع في استعماله، كما يظهر ذلك من خلال النماذج المدروسة والتي نجدها احتوت بعض الأقسام الحيوية التي اختفت في المنزلين الأندلسي والمغربي في منطقة الريف وحتى في منطقة القبائل الكبرى بالشرق الجزائري، فعنصر القبو أو الغار مثلاً يعتبر من بين أهم هذه الأقسام التي لا نجدها في تلك المنازل، وأما عدم وجود عنصر البئر في مساكن قرى بني سنوس عائد إلى وفرة المياه والعديد من المصادر الطبيعية التي تتوفر عليها المنطقة، أما عن باقي الأقسام كالفناء والمطبخ فهي من بين الخصائص العامة التي تشترك فيها جميع المنازل الريفية في القرى والمداشر بحكم الوظائف التي تمارس فيها، كما أن وجود الإسطبل داخل المنزل هو من بين أهم الميزات والخصائص التي امتازت بها منازل قرى بني سنوس، ولذا يمكن القول أن العمارة السكنية في الريف عمومًا لها المخطط والنسق المعماري نفسه، فقط نجد بعض الاختلافات في بعض التفاصيل التي أملتها ربما الضرورة الطبيعية وكذا الفكر العمراني الخاص بسكان المنطقة.

الملاحق:

تعتذر هيئة التحرير عن نشر الصور والمخططات والجداول المرفقة مع الدراسة نظرًا لكبر حجمها مما يتعارض مع طبيعة النشر في "كان التاريخية"

الهَوامِشُ:

(١) عبد الرحمان ابن خلدون، **كتاب المقدمة**، تحقيق:عبد السلام الشدادي،ط١، بيت الفنون والعلم والآداب، الدار البيضاء، ٢٠٠٥، ص١٩٣،٦٧. وانظر:- روافد، الاستثمار في الموارد الثقافية، **سلسلة الموارد الثقافية في وادي النضارة، العمارة التقليدية**، دمشق، سورية، بدون سنة، ص١.- غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، ترجمة: عادل زعيتر، ط٤، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٩٦٤، ص٣٥٢،٣٥٣.

(*) هي منطقة ريفية تقع في الجنوب الغربي من مدينة تلمسان في الغرب الجزائري، وهي وطن بعض القبائل البربرية التي سكنت ريف تلمسان وهي مكونة من أربعة قرى: (تافسرة، الثلاثا أو العزايل، الخميس، بني عشير)، وتبعد عن المدينة تلمسان بحوالي (٥٠)كلم، وتقع هذه القرى بالقرب من بعضها البعض إذ لا تكاد تفصلها سوى بعض الكيلومترات وكلها تابعة إداريًا لبلدية بني سنوس، ولا تزال آهلة بالسكان إلى غاية يومنا هذا، ويستعمل بعض السكان فيها إلى يومنا هذا اللهجة الشَلْحِية التي تعتبر فرعًا من فروع اللهجة الأمازيغية المستعملة في مناطق مختلفة من الجزائر خاصةً منطقة القبائل الكبرى (بجاية، تيزي وز، البويرة)، وتعتبر منطقة بني سنوس برمتها مصدرًا طبيعيًا هامًا اعتمدت عليه العاصمة تلمسان في حقب تاريخية مختلفة، ولا تزال إلى يومنا هذا الكثير من المنتجات الفلاحية والصناعات الحرفية الخاصة بسكان بني سنوس تباع وتشترى في السوق العام لمدينة تلمسان. للمزيد عن ذلك انظر:- رابح فيسة محمد، **العمران الريفي في منطقة بني سنوس (تلمسان): دراسة تاريخية أثرية**، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، ٢٠١٣، ص١٩.- ديستان (إدموند) ومحمد بن حاجي سراج، **بني سنوس**، ترجمة: محمد حمداوي، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية،٢٠١١، ص٩٣ - بل (ألفرد)، **بني سنوس ومساجدها في بداية القرن ٢٠ (دراسة تاريخية أثرية)**، تر: محمد حمداوي، دار الغرب للنشر والتوزيع. بدون سنة، ص ٤٢.

(٢) مصطفى بن حموش، **جوهر التمدن الإسلامي دراسات في فقه العمران الإسلامي**، ط١، دار قابس، لبنان، ٢٠٠٦، ص٥١. وانظر:

- Luca Ortelli, Bruno Marchand, Marielle Savoyat, **Typologie de logements marocains, Modèles d'habitats entre persistances et mutations**, Lausanne, Février 2011, P.77.

(٣) عهد خزام، **العوامل المناخية والبيئية وأثرها على تطوير المسكن الريفي (المنطقة الساحلية مثالاً)**، مجلة جامعة البعث، المجلد(٢٤)، العدد (٤)، دمشق، بدون تاريخ. ص١٤٠.

(٤) ابن خلدون، مصدر سابق، ج١، ص٢١٦. وانظر:- مصطفى بن حموش، **مرجع سابق**، ص٢٦.- مصطفى التليلي، **قفصة والقرى الواحية المجاورة حول الحياة الجماعوية من بداية القرن ١٨ إلى ١٨٨١**، جمعية صيانة مدينة قفصة، ٢٠٠٩، ص١٣٧.- مصطفى شاكر، **المدن في الإسلام**، حتى العصر العثماني، ط١، ج٢، دار السلاسل الإسلامية، ١٩٨٨، ص٥٢.

- Luca Ortelli, Bruno Marchand, Marielle Savoyat, op-cit,p77.

(5) CORPUS, Architecture traditionnelle méditerranéenne, **Maison urbaine style arabo-andalou,** Maroc, 2001, P.2.

(6) Luca Ortelli, Bruno Marchand, Marielle Savoyat, op-cit,p27

(٧) عهد خزام، مرجع سابق، ص١٤٢، انظر:- شويشي زهية، **مجتمع القصور، دراسة في الخصائص الاجتماعية والعمرانية والثقافية لقصور مدينة تقرت**، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الريفي، جامعة منتوري، قسنطينة،٢٠٠٥-٢٠٠٦، ص٢١.- كريمة بوحريق، **تغير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري، دراسة ميدانية بريف الأبيار بلدية الحاسي (ولاية باتنة)**، مذكرة ماجستير في علم لاجتماع الريفي، جامعة الحاج لخضر باتنة، ٢٠٠٩-٢٠١٠، ص٧٨.

(**) لتفاصيل أكثر عن مواصفات المنزل الريفي في الأندلس انظر:- يحي أبوا المعاطي محمد عباسي، **الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس (٢٣٨-٤٨٨هـ) (٨٥٢-١٠٩٥هـ)**،ج١، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ الإسلامي جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٠. ص٨٥١.

-André bazzana, **La maison rurale dans la péninsule ibérique :un atelier d'ethno-archeologie**,in ruralia4,(pamatky archeologické-upplementum15),prague,p.216.

- José Luis Garcia-grinda, **Connaître l'architecture traditionnelle pour la mettre en valeur, L'architecture traditionnelle méditerranéenne Territoire, paysage et architecture traditionnelle**,in,la Connaissance, p50.

(***) لتفاصيل أكثر عن مواصفات المنزل الريفي في المغرب انظر:

-Mickael peyron, **Habitat rural et vie montagnarde dans le Haut Atlas de Midelt, Maroc,** In: Revue de géographie alpine. Tome 64, N°3 1976,. pp. 327-363.- J.-P. Molénat et J. Passini, **L'emploi de la terre dans la construction en nouvelle castille à la fin du moyen âge, L'architecture de terre en méditerranée,** Seri colloque et séminaire N°80, Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines –Rabat, sans date, P.122.

(٨) مدينة تلمسان مدينة تقع في الغرب الجزائري وتبعد عن العاصمة الجزائر بحوالي (٥٥٠) كلم، وقد اعتبرها الزيانيون عاصمة لهم، فهي مهد حضارتهم ومركز حكمهم. انظر في ذلك، محمد رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، الجزائر١٩٨٥، ص٢٥.- محمد عمرو الطمّار، **تلمسان عبر العصور**، الجزائر، ١٩٨٤م، ص٤٥، ٤٦.

(****) مدينة بجاية تقع في الشرق الجزائري ضمن ما يعرف بمنطقة القبائل الكبرى، ولها مكانة تاريخية مرموقة في تاريخ الإمارات الاسلامية التي قامت في بلاد الجزائر، وقد تحدثت عنها الكثير من المصادر والمراجع، نذكر منها:- البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، بغداد، بدون سنة، ص٨٢.- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ليدن، ١٨٦٤، ص٩٠-٩١.- عزوق عبد الكريم، **المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها: دراسة أثرية**، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، ٢٠٠٧-٢٠٠٨، ص٨،١٠.

(٩) عزوق (عبد الكريم)، مرجع سابق، ص١١٦،١١٧.

(*****) هي أسامي القرى الأربعة التي قمنا بدراسة المنازل فيها، حيث لم يرد ذكرها وذكر معانيها في المصادر والمراجع، ما عدا قرية تافسرة التي زارها الحسن الوزان وقام بوصفها وأكد بأنها اشتهرت ببساتينها وخضارها وأن أهلها يشتغلون في صناعة الحديد الذي وجدنا بقاياه إلى يومنا هذا منتشرة في كامل أرجاء القرية، وتبعه في ذلك مارمول كار بخال الذي أضاف إليها في وصفه بأنها مدينة مسورة أي لها سور، في حين أننا لا نجد ذكرًا لباقي القرى ما عدا بعض الاجتهادات من سكان القرى بأن قرية الثلاثا هي تنسب إلى سوق كان يقام يوم الثلاثاء، وأن قرية الخميس أيضًا اشتهرت تسميتها نسبة إلى السوق الذي لا زال يقام إلى يومنا هذا فيها، كما أن سكان قرية بني عشير يعتقدون بأن قريتهم هي قرية استقبلت العديد من القبائل في آن واحد وكانت العشرة بينهم طيبة فسميت قريتهم بـ بني عشير، وتبقى مثل هذه التخمينات والاجتهادات بعيدة عن الواقع ما لم يتم تدعيمها بالمصادر والوثائق التي تشير إلى ذلك، وعن قرية تافسرة يرجى الاطلاع على:- الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ج٢، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٤.- مارمول كاربخال، **إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي ومحمد زنيبر وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ج٢، الرباط، المغرب، ١٩٨٤، ص ٣٢٣.

(١٠)عن التفاصيل الدقيقة عن المنازل الريفية بقرى بني سنوس انظر: رابح فيسة محمد، مرجع سابق، ص١٢٦،١١٤.

(١١)عن دور الفناء في العمارة السكنية انظر: محمد علي الكحلوت، **قراءة تقييمية للمدينة الإسلامية وأسس تخطيطها**، قسم الهندسة المعمارية، غزة، بدون سنة، ص١١. وانظر:- علي ثويني، **المنحى البيئي في العمارة الإسلامية**، مجلة ينابيع، العدد(٢٥)، ١٤٢٩هـ، ص١١٨.